



منذ انطلاقة الثورة السورية انتهج النظام السوري سياسة التعنيف الإعلامي، فمنع دخول الصحفيين والقنوات الأجنبية، ظناً منه أنه بذلك يمنع الكلمة من أن تُسمع، والصورة من أن يراها الناس. ولكنه جوزي بعكس مراده، فقد صنع بتصرفه هذا من الشعب السوري ناشطين إعلاميين سلاحهم الكاميرا والنت..

وأصبحت المواقع الالكترونية تعج بآلاف المتصفحين لأخذ الأخبار ومشاهدة المقاطع المحمولة، وأصبح هذا الجيش من المصورين مراسلين لقنوات العالم كله.

كانت الرسالة التي يقوم بها هؤلاء الإعلاميون سامية، فقد أوصلت رسالتنا للعالم كله، مع أنه ثبت في ما بعد أنه سيان على العالم سماع أصواتنا من عدمه، فمصلحةه فيبقاء نظام التشبيح الأسدية فوق كل معاناة للشعب المظلوم. لكن كان في هذا التصوير سلبية كبيرة، وهو أنه أصبح وسيلة لنشر الأكاذيب والمغالطات والاتهامات، لما دخل فيه من ليس من الثورة في شيء، فقد كان فضاءً مفتوحاً، وميداناً واسعاً، وكل من أراد شيئاً قاله، حفأً كان أو باطلأ، وسيجد المبطل من الرعاع من يرعى زبالة فكره، وحثالة رأيه..

فأصحاب الأهواء يحكمون أهواءهم دون أن يعلموا عقولهم، فقد رأينا مقاطع لا نشك في كذبها وزورها، ولكنها مع ذلك وجدت من طار بها!!

ولما تطورت الثورة وحمل الشعب السلاح ليدافع عن عرضه ودينه كان التصوير حاضراً في هذا المشهد كذلك.. وأنا شخصياً استفتيت من قبل بعض الكتائب في حكم تصوير العمليات الجهادية التي يقومون بها، وهل هذا محبط للعمل، وهل يعد من الرياء، فكان جوابي لهم أن هذا دائر مع المصلحة، فإذا كان هناك مصلحة في مثل هذا النشر فلا بأس، وإلا فلا. فالجهاد أولاً وآخر عبادة، والعبادات لا بد بها من ابتعاء وجه الله، وهذا التصوير فتنه، قد يصاحب المجاهد فيصرف نيته عن ابتعاء وجه الله إلى الشهرة والرياء، واستجلاب الأموال من أيدي الداعمين!!

كنت أذكر إخواني دائماً بقول المصطفى - صلى الله عليه وسلم - : "الأعمال بالنيات".

وبقوله في الحديث القديسي: "أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل أشرك به غيري تركته وشركته". وقوله - صلى الله عليه وسلم - : "أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء..".

وكلت أذكراهم بموافقات المجاهدين في سبيل الله، وأذكر لهم على سبيل المثال ما أخرجه البخاري عن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري أن أباه حدثه عن غزوة ذات الرقاع، فقال: خرجنا مع النبي في غزوة ونحن في ستة نفر، بينما يعبر نعتقه، فنكتب أقدامنا، ونكتب قدماء،

وسقطت أظفاري، وكنا نلف على أرجلنا الخرق، فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا. وحدث أبو موسى بهذا الحديث ثم كره ذاك قال: ما كنت أصنع بأن أذكره كأنه كره أن يكون شيء من عمله أفساده. فهذا الندم من أبي موسى مع أنه أمر أن يبلغ عن النبي صلى الله عليه وسلم سنته وسيرته، ولكنه خشي على النية من التقلب والتغيير.

والليوم فقد أصبحت ظاهرة التصوير فتن فتن فيها كثيرون من المقاتلين، فأصبحوا لا يضربون ولا يرمون ولا يفعلون إلا والكاميرا جاهزة معدة للتصوير، ثم قبل أن ينفض الغبار عن رأسه يحمل المقطع على الواقع الالكتروني، فصار التصوير هدفاً وغاية لدى البعض، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فكم من معركة خاضوها في عالم التصوير، وكم من فتح كاذب زعم في هذا العالم كذلك.

حتى إنه قد طالعنا بعض الناس بموافقات مخزية، يأتي إلى الجبهة ويحضر أدوات جهاده التي هي الكاميرات المتطورة، ثم يلتقط صوراً ومقاطع، ويطلق زخات من الرصاص على العدو، حتى يتم له ما يريد ثم ينصرف.

لقد بلغ الأمر أن أصبح العدو يتندر على المقاتلين، فقد حدث عسكري منشق، أنه حينما يبدأ بعض الثوار بالرمي على موقع الجيش النظامي كان الضابط النصيري يقول لهم: لا تخافوا، اصبروا خمس دقائق حتى ينتهي التصوير وينصرفوا!

إنني أحمل نتيجة هذا المهزلة لصنفين من الناس:

الأول: الداعمون للثورة، فهم يطلبون مثل هذه المقاطع لمبررات كثيرة، لكن أيًّا كان هذا المبرر فإنَّ الأمر قد أصبح فتنة تضر بالثورة، وإذا كانوا يريدون التأكد من وصول الدعم فثمة طرق شرعية أخرى، أولها وأولها إيصال الدعم إلى الثقات من المجاهدين.

الثاني: القادة العسكريون الذين أصبح همهم إبراز أعمالهم، وحصد مدح الناس، وجلب دعم الداعمين، وأصبح وجه الله - عز وجل - آخر المقصود.

لقد رأيت في زيارتي الأخيرة معضلات ومشاكل سببتها فتن التصوير بين طوائف المجاهدين، فحين تدمر دبابة يتسابق مجاهدوا التصوير إليها للتصوير عليها، وكأنهم هم من قاموا بحرقها.

اتفق مرة أنه حامت قرية من ضياعتنا طائرة هلكت فقام بعض الشباب باستهدافها بمدفع رشاش مثبت على سيارة من نوع بيكتاب، فأصابوها في مقتل فانفجرت في السماء، وهل المجاهدون وفرحوا لذلك فرحاً شديداً، إلا أن جزءاً من الطائرة سقط على السيارة فاحتراقت السيارة واستشهد فيها من قام بإسقاط الطائرة.

والمفارقة العجيبة أنه ظهر في اليوم التالي: أربعة مقاطع لأربعة فصائل كل يدعي أنه هو من أسقط الطائرة، مع العلم أن الذي أسقطها قد التحق بالرفيق الأعلى..

لقد أصبح للتصوير مجاهدون، وهؤلاء هم من يحصدون الجوائز، ويستدركون الدعم، ولذا فإنني أدعوا إلى وقفة حازمة من أهل العلم والحلم إلى ترشيد هذا الباب، وتصحيح المسار، فإنَّ التصوير كان وسيلة فأصبح غاية، ثم صار سبباً لفرقة المجاهدين واختلافهم.

بحيث إنني أقول: ما تركت في بلاد الشام فتنه أضر على المجاهدين - بعد تفوقهم - من فتن التصوير.. والله المستعان..

المصادر: